مجلة جامعة الملك سعود، م ١١، اللغات والترجمة، ص ص ١ ــ ١٥ (١٤١٩ هـ/١٩٩٩م).

تأثيرات عربية في كتب البلاغة الفارسية

محمد نور الدين عبد المنعم

أستاذ، قسم اللغات الآسيوية، كلية اللغات والترجمة،
جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(قدم للنشر في ١٤١٨/٦/٢ هـ، وقبل للنشر في ١٤١٩/١/٢٩ هـ)

ملخص البحث يدور هذا البحث حول التأثيرات العربية في كتب البلاغة الفارسية، فتُعقد مقارنة بين نشأة هذا العلم في البلاغتين ، وكيف أن كتب البلاغة الفارسية مثل *ترجمان البلاغة* و*حدائق السحر في دقائق الشعر* و*المعجم في معايير أشعار العجم* قد اعتمدت في مصطلحاتها وتعريفاتها وعرضها لفنون البلاغة على كثير من المؤلفات العربية مثل كتاب *البديع* لابن المعتز و*نقد الشعر* لقدامة بن جعفر وغيرهما، وهذا يؤكد أن العرب بلغتهم العربية الغنية بالمشتقات والمترادفات وفنون البلاغة المتنوعة قد أثروا في مؤلفي البلاغة من الفرس وسبقوهم في وضع المصطلحات البلاغية والتعريفات الجامعة المانعة لهذا العلم.

شرع الفرس يؤلفون في علم البلاغة منذ أوائل القرن الخامس الهجري، وتخبرنا المصادر الفارسية عن بعض الكتب التي لم تصل إلى أيدينا كـ*المختصر* الذي ألفه أبو سعد أحمد بن محمد المنشوري السمرقندي - وهو من شعراء السلطان

محمود الغزنوي (٣٨٨- ٤٢١ هـ) - في صنعة المتلون، وقد شرحه خورشيدي فيما بعد وسماه *كنز الغرائب*. [١، ص ٤٤] وأيضا كتاب *زينت نامه* في علم الشعر، وهو من مؤلفات أبي محمد الرشيدي السمرقندي من الشعراء المعاصرين للسلطان ملكشاه السلجوقي (٤٦٥ – ٤٨٥ هـ) . وأول كتاب وصل إلى أيدينا من كتب البلاغة الفارسية هو كتاب *ترجمان البلاغة* لمحمد بن عمر الرادوياني (منتصف القرن الخامس الهجري).

والمعروف أن البلاغة العربية كانت قد انتقلت من مرحلة التكوين إلى مرحلة الاكتمال والنضج في هذه الفترة، وألفت الكتب الكثيرة التي تتناول علم البلاغة فتعرفه وتضع له المصطلحات والقوانين، سواء كان ذلك في كتب الأدب أو النقد أو الإعجاز أو كتب البلاغة المستقلة فيما بعد. ومن ذلك يتضح لنا أن المؤلفات العربية سبقت المؤلفات الفارسية في هذا المضمار ، ومهدت لها الطريق لتقتبس منها وتعتمد عليها.

وقد اعترف المؤلفون الفرس أنفسهم بذلك في كتبهم؛ فنجد مثلا صاحب *ترجمان البلاغة* يخبرنا بأن كل ما رآه "في شرح البلاغة وبيان حل الصناعة، وكل ما يتصل بها ويتفرع عنها كالعروض ومعرفة القوافي كان بالعربية، وأنه رأى جماعة من الناس قد أفادوا منها " أي من هذه المصنفات ، ثم يقول بعد ذلك: "ولم أر كتابا بالفارسية في معرفة أجناس البلاغة وأقسام الصناعة، ومعرفة الكلام المنمق والمعاني الرفيعة. . . . " وقد أراد المؤلف تأليف كتاب "يحول فيه أجناس البلاغة من العربية إلى الفارسية" [٢، ص ٢]

وإذا رجعنا إلى كتاب *حدائق السحر في دقائق الشعر* لرشيد الدين الوطواط (المؤلف في القرن السادس الهجري ما بين سنتي ٥٥١ - ٥٦٨ هـ) نجد أن مؤلفه لم يذكر كتبا فارسية في البلاغة سوى كتاب *ترجمان البلاغة*، ومعنى ذلك أنه لم يعثر على كتب فارسية في هذا الموضوع قبله ، ولم يعجبه

تماما؛ فشرع يؤلف كتابه حد*ائق السحر* متحاشيا أخطاء سابقة. وعلى هذا فإن أول كتاب جامع ألف بالفارسية في فنون البديع المختلفة هو *ترجمان البلاغة*، وبه يبدأ التأليف الحقيقي في البلاغة الفارسية.

ويحسن هنا أيضا أن ننقل قول دولتشاه السمرقندي في كتابه *تذكرة الشعراء* (مؤلف سنة ٨٩٢ هـ) الذي يعترف فيه بالسبق للعرب في هذا المجال، إذ يقول: " أن للعرب الفصاحة والبلاغة وقد تبعهم الفرس في ذلك."

ونلاحظ أيضا أن ما ظهر من كتب البلاغة الفارسية كان قليلا بالنسبة لما ظهر في العربية، وقد يدل هذا على أن الفرس كانوا يكتفون بما كتب بالعربية، وأنهم ليسوا بحاجة إلى التأليف في هذا الموضوع، خاصة وأن البلاغة الفارسية أصبحت مطابقة إلى حد بعيد للبلاغة العربية.

وإذا نظرنا إلى كتب البلاغة الفارسية، سواء القديمة منها أو المحدثة، فإننا نجد مؤلفيها يذكرون في الغالب نبذة عامة عن البلاغة العربية ثم يلحقونها بنبذة عن البلاغة الفارسية، وذلك أثناء حديثهم عن نشأة هذا العلم وتطوره، لأن ما ألف في العربية كان أصلا وأساسا لما ألف في الفارسية، فلا بد من النظر إليه والاطلاع عليه، وأن التسلسل التاريخي يقتضي ذكر الإرهاصات التي سبقت التأليف في البلاغة الفارسية.

وهناك كثير من كتب البلاغة الفارسية تذكر لنا أسماء كتب عربية تناولت فنون البلاغة بالبحث ، مثال ذلك ما ذكره الوطواط [٣، ص ١٣٨] من مؤلفات الرماني عندما قال في صنعة التشبيه المطلق : وقد ألف الرماني صاحب كتاب *الاشتقاق* كتابا في إعجاز القرآن، أورد به جميع التشبيهات الموجودة في القرآن ، ونبه على ما بها من دقائق الحسن وغوامض اللطف..." أو تذكر بعض التعريفات لبعض العلماء العرب وتستشهد بأقوالهم؛

... تعريفه للالتفات من أنه انتقال

المتكلم من المخاطبة إلى المغايبة ومن المغايبة إلى المخاطبة وأمثال ذلك، ونقل أيضًا قول الخليل بن أحمد في تسمية المتضاد بالمطابق ، وغير ذلك.

وإذا نظرنا إلى مصطلحات البلاغة الفارسية وجدناها عربية خالصة، ولو افترضنا وجود مؤلفات فارسية في هذا الموضوع قبل المؤلفات العربية، فقد كان من الضروري أن تظهر بعض المصطلحات الفارسية، وهذا يؤكد لنا أن علم البلاغة بدأ التأليف فيه بالعربية ثم انتقل بعد ذلك إلى الفرس فألفوا فيه بلغتهم.

وقد عني الفرس منذ أول مؤلفاتهم البلاغية بعلم البديع دون سائر الفروع الأخرى، والدليل على ذلك موجود في كتابي الرادوياني والوطواط، وقد ضمنوا علم البديع بعض الفنون المأخوذة من الفرعين الآخرين للبلاغة، وهذا يدل على أنهم تأثروا خطى البلاغة العربية؛ فمن أوائل كتب البلاغة العربية كتاب *البديع* لابن المعتز الذي اقتصر فيه مؤلفه على فنون البديع، ويعد كتابه الأساس الذي اعتمد عليه الفرس في تأليفاتهم. كما أن تقسيم البلاغة إلى فروعها الثلاثة المعروفة (البديع ، البيان ، المعاني) لم يظهر في الكتب الفارسية القديمة *كترجمان البلاغة* أو *حدائق السحر*، أو *المعجم في معايير أشعار العجم* (الذي ألفه شمس قيس الرازي حوالي سنة ٦٣٠ هـ)، وهذا هو الحال بالنسبة للبلاغة العربية التي اقتفى الفرس أثرها؛ فالعرب تحدثوا في كتبهم عن هذه الفرووع وإن لم يكن التقسيم واضحا في بداية الأمر، إلا أن الفرس كانوا يميلون إلى البديع أكثر من غيره، ويذكرون معه أيضًا فنونا أخرى من الفرعين الآخرين حتى ألف السكاكي كتابه *مفتاح العلوم* (ت ٦٢٦ هـ) فأخذوا ينقلون عنه في المعاني والبيان.

وإذا حاولنا مقارنة نشأة البلاغة العربية بنشأة البلاغة الفارسية؛ نجد أن الأولى نشأت تدريجيا، ولم يضع أصولها وقواعدها ومصطلحاتها شخص بعينه،

بل تناثرت أقسامها وفنونها في كتب الأدب والتراجم وكتب النقد والموازنات والإعجاز، ولم تكن فنون البلاغة هي الهدف الرئيس في بادئ الأمر من تأليف هذه الكتب، إلا أن كثيرا من الكتب ألفت في هذا العلم فقط في عصر متأخر، ولكننا نجد أيضاً كتبا خاصة ببعض فنونه ألفت في عصر مبكر ككتاب *البديع* لابن المعتز. أما البلاغة الفارسية، فإنها نشأت دفعة واحدة ودون مقدمات تذكر؛ فنجد الرادوياني يؤلف كتابه بعد أن بحث فلم يجد كتابا واحدا مؤلفا باللغة الفارسية في هذا الباب، ولا يمكن بطبيعة الحال أن يكون الرادوياني قد اخترع كل ما ذكره من فنون؛ فقد أوضح لنا أنه نقل عن كتاب عربي هو *محاسن الكلام* للإمام نصر بن الحسن المرغيناني (أحد شعراء القرن الخامس الهجري).

كما أن فنون البديع ومصطلحاتها لم تكن مستقرة عند الفرس في بادئ الأمر من كتاب لآخر، وهذا يوضح لنا أن الفرس كانوا ينقلون عن العرب؛ فكل مؤلف منهم يعتمد على بعض الكتب العربية في تأليفه، ثم يأتي آخر فينقل من مصادر أخرى، ويذكر ما حدث بها من تغيير؛ فمصطلحات البلاغة العربية لم تكن مستقرة منذ نشأتها بل أخذت تتغير من مؤلف إلى آخر، وأصبح الفن الواحد يسمى بعدة أسماء في بعض الأحيان، وهكذا كانت الكتب الفارسية تابعة لما يؤلف في العربية.

ومما يؤيد التأثير العربي أيضًا أن فنون البديع الفارسي أخذت تزداد من كتاب لآخر ؛ فإذا أحصينا مثلا عدد الفنون التي ذكرها الوطواط وجدناها تصل إلى سبعين فنا بديعا، في حين أننا إذا أحصينا عدد الفنون التي وردت في كتاب *المعجم* وجدناها تصل إلى أكثر من سبعين فنا، ويزداد العدد بعد ذلك في البديعيات الفارسية بشكل ملحوظ. والبديع العربي بدأ بخمسة فنون عند ابن المعتز غير محاسن الكلام التي ذكرها، ثم ازدادت بالتدريج في الكتب التي تلته؛ فنجدها [illegible] ثلاثين فنا عند أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)

في كتابه *الصناعتين*، ثم تكثر حتى تصل إلى مائة وأربعين فنا لدى صفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ) في قصيدته البديعية.

أما من الناحية المنهجية، فقد اتضح لنا أن كتاب الرادوياني تأثر منهج مؤلف *محاسن الكلام* إلى حد بعيد في التبويب وذكر المصطلحات والتعريفات مع فروق بسيطة وإضافات قليلة. وإذا قارنا كتاب *حدائق السحر* بكتاب ابن المعتز، وجدناهما صورة طبق الأصل من الناحية المنهجية، فموضوع كتاب *البديع* هو ذكر ألوان البديع وشواهدها في الأدب العربي شعرا ونثرا؛ فهو يستشهد للفن البديعي بشواهد من القرآن الكريم، ثم من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم من كلام الصحابة والأعراب وبلغاء الكتاب، ثم من الشعر العربي الجاهلي، فالإسلامي فشعر المحدثين، ويختم كل فن بذكر ما عيب من شواهده المتكلفة السقيمة. وهذا هو ما فعله الوطواط تقريبا في كتابه ؛ فقد كان يذكر الفن البديعي ويعرفه، ثم يستشهد له بنفس الطريقة التي كان يفعلها ابن المعتز، إذ يذكر أمثلة من القرآن الكريم والحديث الشريف، ثم أمثلة من النثر العربي فالشعر العربي، ثم من النثر الفارسي فالشعر الفارسي .

والكتاب الأول في البلاغة الفارسية أي، *ترجمان البلاغة*، لم يسر على نمط ابن المعتز تماما، بل أخذ يمثل لفنون البديع بشعر فارسي فقط، فلا بد أن الوطواط قد اطلع على كتاب ابن المعتز وسار على نهجه، بل نقل عنه أمثلة كثيرة من النثر والشعر بالإضافة إلى تعريفات بعض الفنون، بينما الرادوياني قد تأثر بابن المعتز عن طريق كتاب *محاسن الكلام*، ولا شك أن الفرس قد نقلوا معظمهم المصطلحات التي ذكرها ابن المعتز في كتابه ، أو نقلوها بعد أن تطورت تحت أسماء أخرى لدى كتاب البلاغة العربية اللاحقين به.

ومن الطريف أن الفرس لم ينقلوا في كتبهم الأولى أي تعريف للفصاحة والبلاغة، ولم يرد ذلك إلا في كتب المتأخرة ككتاب

المعجم الذي ذكر تعريفا للبلاغة [٤، ص ٣٧٨]، وهو أول تعريف يرد في مؤلفاتهم. ومن المؤكد أنهم نقلوه عن العرب؛ فتعريفات البلاغة والفصاحة أخذت تتردد في كتبهم منذ عصر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ).

والواقع أن كتب البلاغة الفارسية نقلت كثيرا من الأفكار الخاصة بتعريف الشعر وعيوبه وأدواته ونظمه وغير ذلك من الأفكار التي تاثرت في كتب الأدب العربي ؛ فنجد قدامة بن جعفر يذكر تعريفا للشعر في الفصل الأول من كتابه *نقد الشعر*. ويعتمد شمس قيس على هذا التعريف في كتابه مع اختلاف ضئيل في التعبير. كما يتشابه ما جاء في كتاب *المعجم* حول النسيب والغزل وبعض عيوب الشعر وعيوب المعاني مع ما جاء في كتاب *نقد الشعر*، وقد نبه إلى مثل هذه التأثيرات على *المعجم* المستشرق بونيباكر الذي حقق كتاب *نقد الشعر*، فقال: إنني أعتقد أن تعريفات شمس قيس الرازي في الإيغال والإرداف والتقسيم والمساواة وتعريف الشعر قد استلهمت من كتاب *نقد الشعر*، أو اقتبست منه" [٥، ص ٥٩].

ولا شك أن روح النقد التي سادت كتاب *نقد الشعر* وتقسيمه للعناصر الرئيسية في الشعر، ومعالجته لنعوت الشعر، أي محاسنه ، ثم عيوبه ، قد اثر على منهج كتاب *المعجم* تأثيرا كبيرا، ويتضح ذلك فيما كتبه شمس قيس في القسم الثاني من كتابه حول القافية ونقد الشعر، وقد قسمه إلى ستة أبواب، تحدث في الباب الخامس منها عن عيوب القوافي والأوصاف الرديئة التي تقع في الكلام المنظوم، ثم انتقل في الباب السادس إلى ذكر محاسن الشعر والصناعات المستحسنة في النظم والنثر.

ومن الكتب التي نقل الفرس منها بعض التعريفات الخاصة بالشعر كتاب *عيار الشعر* لابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ)، وهو كتاب من أهم كتب النقد التي تجتمع فيها النقد والبحث البلاغية، وقد ألفه في صناعة الشعر والموازين

الذي به تقاس بلاغته، وأول ما نلاحظه من تأثير له على كتاب *المعجم*؛ هو أن الأخير قد تأثر بروح النقد التي سادت هذا الكتاب كما استفاد منه فيما ذكره عن الشعر وأدواته، ثم عن صناعة الشعر وعياره، وأخذ عنه بعض المصطلحات البلاغية.

أما بالنسبة للمصطلحات والتعريفات التي سبق العرب فيها الفرس فهي كثيرة، إذ عندما بدأ الفرس يؤلفون في البلاغة الفارسية أخذوا يرجعون إلى الكتب العربية ناقلين عنها مصطلحاتها وتعريفاتها، ثم طبقوا هذه الفنون على آدابهم، ولا يعني هذا أنهم اكتفوا بما نقلوه عن العرب ؛ فقد أضافوا بعض الإضافات القليلة.

ومن الواضح أنهم عندما اقتبسوا تلك المصطلحات العربية فإنهم نقلوها دون تغيير أو تحوير كاصطلاحات: السجع والجناس والقلب والتضاد وغير ذلك، ومن ناحية أخرى، فإن التعريفات أو الشروح التي كتبت تعليقا على هذه المصطلحات كانت أيضاً مقتبسة أو منقولةً عن التعريفات العربية، وقد تختلف أحيانا مع ما في العربية خاصة في التقسيمات والتفريعات التي تخرج من الفن الواحد.

ونرى الأستاذ محمد تقي بهار –أحد العلماء الإيرانيين الأفاضل – يقول في كتابه *سبك شناسي* عند حديثه عن كتاب *كليلة ودمنة* إن مؤلفه استعمل صناعات الجمع والتفريق أو سياقة الأعداد، وكانت هذه الصناعات موجودة في الآداب البهلوية وانتقلت من البهلوية إلى العربية وشاعت، ثم انتقلت من العربية إلى الفارسية عن طريق المترجمين"، ثم يقول :"هذه بضاعتنا ردت إلينا" [٦، ص ٢٧٩].

والواقع أن هذه الصناعات وإن كانت قد وجدت في الآداب الفارسية القديمة كما ذكر مؤلف *سبك شناسي* ، فلا شك أن العرب هم الذين وضعوا

المصطلحات الخاصة بها والتعريفات اللازمة لها، ولم يكن هذا قد توفر للمؤلفين الفرس قبل ذلك.

وقد حاولت عمل دراسة على الفنون البلاغية التي ورد ذكرها وتعريفها في المؤلفات العربية قبل ذكرها في المؤلفات الفارسية؛ فأحصيت ما يقرب من سبعة وثلاثين فنا. أما ما عدا ذلك من الفنون، فلا يمكن القطع برأي في أسبقية أحدهما في اختراعه؛ فقد يظهر الفن البديعي في فترة متأخرة في المصادر العربية والفارسية في وقت واحد تقريبا، ولذلك يصعب تحديد الأسبقية في اختراعه.

ونحن لا نستطيع أن ننكر ما للمؤلفين الفرس – الذين دخلوا في الإسلام وأتقنوا اللغة العربية، وصاروا يؤلفون بها وحدها أو يؤلفون بها بجانب لغتهم الأصلية– من فضل على الثقافة العربية بعامة، وعلى الأدب والبلاغة بخاصة، وكثير من كتب البلاغة العربية إنما ألفها كتاب فرس؛ ويكفي مثلا ذكر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) والسكاكي (ولد عام ٥٥٤ هـ) والزمخشري. ولا شك في أنهم قد أثروا في تطوير علم البلاغة ونموه، إلا أن تأثيرهم كان منهجيا يعتمد على طريقة عرض الموضوع ومناقشته ثم تقسيمه وتفريعه متأثرين في ذلك بالمنطق والفلسفة، ولا نستطيع أن نقول إنهم نقلوا بعض ما كان لدى الفرس من قواعد وقوانين بلاغية ، فقد كان أولى بهم أن يذكروا ذلك مفتخرين بما عند ذويهم من علم ومعرفة، إلا أننا لا نجد أية إشارة عند أحدهم تدل على أنه نقل عن كتب فارسية تناولت هذه الموضوعات خاصة في البيان والمعاني.

ويمكننا القول إن هؤلاء المؤلفين تأثروا بالثقافة العربية وشربوا من منابعها الأصلية، ثم أخذوا يبحثون في علومها ومنها علم البلاغة بفروعه [illegible] جهودهم الشخصي بجانب ثقافتهم

العربية، دون الاستعانة بمصادر فارسية تتصل بموضوع البلاغة ، معتمدين في أبحاثهم على ما كتبه العرب أصلا في فروع البلاغة العربية؛ فالجرجاني لم يخلق البيان والمعاني خلقا أو يخترعهما اختراعا، إنما كانت هناك إرهاصات لهذين الفرعين في كتب الأدب والبلاغة العربيين منذ الجاحظ، وكانت البذور موضوعة، وأخذت تنمو تدريجيا، فتناولها البعض بالرعاية والتهذيب، ممهدين لها الطريق حتى ازدهرت على أيديهم في نهاية الأمر.

وكان من هؤلاء الكتاب الفرس من انتقل إلى البلاد العربية (كأبي هلال العسكري الذي انتقل من الأهواز إلى بغداد والبصرة) وانتهل من موارد الثقافة فيها، وأخذ يؤلف في علومها متأثرا بما سمعه وقرأه في هذه البيئة الجديدة، وقد يكون له تأثير ضئيل من جراء ثقافته الأصلية، وقد تضمحل هذه الثقافة بجانب ثقافته الجديدة التي اكتسبها من البيئة العربية.

وإذا حاولنا المقارنة بين فني المعاني والبيان في البلاغتين العربية والفارسية، فإننا لا نجد فروقا على الإطلاق، فالتشابه كامل بينهما، وقد أخذ الفرس كل ما كتب في المؤلفات العربية عن المعاني والبيان وطبقوه على أدبهم، واقتفوا نفس المقاييس والقواعد التي وضعها العرب.

ونود هنا أن نناقش مسألة هامة وهي: هل وضعت قواعد البلاغة ابتكارا أم وضعت تقليدا للبحوث في اللغات الأخرى؟ مما لا شك فيه أن الكتاب الفرس وغيرهم من الأعاجم قد ساهموا في تطور النثر العربي وازدهاره، ونقلوا أساليب الكتابة الفارسية إلى العربية، ومن هؤلاء ابن المقفع وعبد الحميد الكاتب وغيرهما، ويقول صاحب كتاب *الصناعتين* عن الثاني: ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي، فحولها إلى اللسان العربي"[٧، ص ٦٩].

إلا أنهم لم ينقلوا للعرب تعريفات محددة أو مصطلحات معينة لتلك الفنون التي تستخدم في تجويد القول وتحسينه، فكل ما نقلوه إنما كان نماذج للأساليب التي كانت تستعمل عندهم وإشارات عابرة، ولا ننسى أنهم كانوا على جانب عظيم من الثقافة العربية، فلم تكن طريقتهم حتى في الكتابة فارسية خالصة.

وقد يقول البعض إن الكتاب العرب نقلوا بعض الأقوال في البلاغة عن الأعاجم من فرس أو هنود أو غيرهم كالجاحظ مثلا، ولكننا نقول إن ما نقله الجاحظ إنما كان عبارة عن تعريفات عامة غير محددة، من ذلك ما نقله في كتابه *البيان والتبيين* عن بلاغة أهل الهند، وذكره لكتاب فارسي اسمه كاروند، والغالب أن هذا الكتاب يحتوي على رسائل أو مقالات فارسية، ولا توجد به آراء بلاغية، فلم يذكره أي ممن ألفوا في البلاغة الفارسية بعد ذلك.

وينقل الجاحظ تعريفا للبلاغة عند الفرس بأنها: "معرفة الفصل من الوصل"، وأنها عند اليوناني :" تصحيح الأقسام واختيار الكلام،" وأنها عند الرومي : "حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة،" وعند الهندي: "وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة." والواقع أن هذه التعريفات، أو قل الإشارات ، كانت ضئيلة بالإضافة إلى أنها عامة غير محددة، ولا يمكن أن تساهم مساهمة كبيرة في بناء بلاغة كالبلاغة العربية.

والمعروف أن الجاحظ لم يطلع على كتب أجنبية في هذا الفن، ولم يرو عنه أنه كان على علم بلغات أجنبية غير العربية، ولم ينقل لنا عن كتب في البلاغة سواء كانت فارسية أم هندية أم يونانية، ولم يكن كتاب *الخطابة* لأرسطو قد عرف وترجم إلا في القرن الثالث الهجري، وترجمه اسحق بن حنين، وفي الفترة التي ترجم فيها هذا الكتاب كان ابن المعتز قد ألف كتابه *البديع* ، ولم يكن

أجنبية أخرى، والحقيقة أن أغلب مصطلحات الفنون التي ذكرها ابن المعتز كانت وليدة فكره مثل "رد أعجاز الكلام على الصدور" وغير ذلك.

وعلى هذا فالبلاغة العربية في نشأتها كعلم حديث بدأت عربية خالصة، ثم أخذت تتطور وتتصل بالثقافات الأخرى وخاصة الثقافة اليونانية بعد أن ترجمت كتب الأدب اليوناني، ويتضح أثر هذه الثقافة في منهج البحث البلاغي بعد ذلك. وهذا التأثر لم يتح للبلاغة العربية إلا في وقت متأخر، حتى صارت في النهاية فلسفة ومنطقا على أيدي السكاكي وأصحابه. أضف إلى هذا أن جميع مصطلحات البلاغة عربية ولم تنقل عن اليونانية.

ويجب أن نذكر أيضا أن المؤلفين الأوائل للبلاغة العربية كانوا من أصل عربي خالص، وأن الثقافة العربية كانت هي ثقافتهم الوحيدة، ومن هؤلاء أبو عبيدة بن معمر المثنى التميمي البصري (ت ٢١٣ هـ) وكان تلميذا للخليل، وابن المعتز الذي عاش في بغداد (ت٢٩١ هـ)، وثعلب المولود بالكوفة (ت ٢٩١ هـ) والمبرد المولود بالبصرة (ت ٢٨٥ هـ) وغيرهم.

كما أنه توجد مجموعة أخرى ممن ألفوا في البلاغة العربية كانوا من أصل فارسي إلا أنهم ولدوا في بلاد عربية، وتثقفوا بثقافة العرب، فأصبحوا عربا بالموطن والثقافة واللغة، مثل ابن قتيبة الدينوري وهو من أصل فارسي ومولود ببغداد.

أما بالنسبة لإضافات الفرس فهم لم يكتفوا بما نقلوه عن العرب من فنون البلاغة بل أضافوا – كما ذكرت – أشياء قليلة قد تدخل في تفريعات الفن الواحد، أو في تسمية الفن باصطلاح يختلف عما ذكره العرب في مؤلفاتهم، ويقول الأستاذ عباس إقبال في مقدمته على كتاب *حدائق السحر*: "وعلم البديع مثل طائفة أخرى كبيرة من شعب الفنون الأدبية، يعتبر من العلوم الخاصة باللغة العربية لأننا إذا استثنينا بعض [illegible]

مما يعتبر من الخصائص الطبيعية لكل لسان ولكل إنسان فإن بقية الصناعات البديعية وخاصة اللفظية منها كالسجع والترصيع والتجنيس وغيره ،قد احتلت المكان الأول في اللغة العربية، لأنها باتساع ألفاظها وكثرة مترادفاتها قد ساعدت على إيجاد الأرض الصالحة لنمو هذه الصناعات. . أما اللغة الفارسية فهي لغة آرية تختلف عن العربية من عدة وجوه، ومن أجل ذلك فقط كان من باب التقليد اتخاذها لقسم كبير من هذه الصناعات البديعية وربما ساعد على سهولة هذا التقليد دخول عدد كبير من الألفاظ العربية في اللسان الفارسي... إلا أنه لا يمكننا القول بأن الفرس ظلوا يقلدون فنون البديع العربية إلى ما لا نهاية، فقد أخذوا يتصرفون فيها ويدخلون عليها كثيرا من التغييرات ...."

ومن التغيرات التي ذكرها أن الفرس وضعوا مصطلحات من عندهم لبعض الصناعات البديعية في مقابل المصطلحات العربية؛ فقد أطلقوا اسم المقابل أ والمصدر على رد العجز على الصدر، وأطلقوا اسم جيستان على اللغز ، وكانت لهم مهارة وعناية في صنعة السؤال والجواب، وطريقة خاصة في التقسيم والتسميط.

ومن أوجه الخلاف أيضا تقسيمهم للجناس إلى سبعة أقسام، وتقسيمهم رد العجز على الصدر إلى ستة أقسام، وتقسيم الحشو إلى ثلاثة أقسام، والتشبيه إلى سبعة أقسام، وكذلك الحال بالنسبة لفن العكس والسجع والقلب والالتفات. وهناك بعض الفنون لا تستعمل أولا يشيع استعمالها لدى العرب كصنعة المردف والمتلون والموشح وفن تقريب الأمثال بالآيات.

المراجع

[١]عوفي، محمد. *لباب الألباب*. ج ٢. ليدن، ١٩٠٦م.
[٢] نور الدين، عبد المنعم محمد. *ترجمان البلاغة*. استانبول، ١٩٤٩م.

[٣] الشواربي، إبراهيم أمين. *الترجمة العربية لحدائق السحر*.القاهرة: د. ن.، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م.

[٤] الرازي، شمس قيس. *المعجم*. طهران، ١٣٣٨ هـ.

[٥] قدامة بن جعفر. *نقد الشعر*. ليدن، ١٩٥٦ م.

[٦] بهار، محمد تقي. *سبك شناسي*. ج٢ ، تهران، ١٣٢١ هـ. ش.

[٧] العسكري، أبو هلال. *كتاب الصناعتين*.القاهرة، ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢م.

Arabic Influences on Persian Rhetoric

Mohammad Nur Aldeen Abdul Moneim

Professor,Department of Asian Languages,
Colleges of Languages and Translation,
King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

(Received A.H. 2/6/1418; accepted A.H. 29/1/1419)

Abstract. The study deals with the influences of the Arabic language on books written on Persian rhetoric. A comparison between the inceptions of the arts of rhetoric in both languages is conducted. This study also shows how Persian books on rhetoric (e.g. *Turjuman Al-Balagha, Hada'k al Sheher, Al Mujam in Ma;aeer al She'r*... etc.) have depended on many books written originally on Arabic rhetoric, e.g., *:Al-Badee'h*" by Ibn Al Mu'taz, and "Criticism of Poetry" by Ja'far. It is meant by this exposition to prove that the Arabs (with the influence of their Arabic language which is rich in inflections, synonyms, and varied arts of rhetoric) have influenced Persian authors who basically write on rhetoric. It is also meant to show that the Arabs did establish precedency in rhetoric related terminology and in the domain of comprehensive definitions in this branch of knowledge.